جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

أنطونيا مانولى

براجا جوبال

آنجى بوهل

فريد الفالوجي

مكتبة الجاسوسية

مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية

أطلس



جاسوسات عاشقات

هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف ، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن..فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

أنطونيا مانولى و براجا جوبال و آنجى بوهل :

الأولى: واحدة من الفتيات الروسيات اللائى تدربهن المخابرات السوفيتية لتجنيد بعض الشباب الذين يعملون فى مواقع استراتيجية فى بلادهم، فنجحت فى التأثير على شاب فرنسى فقام بتقديم كل الملفات السرية التى تخص الصاروخ الفرنسى «اريان»، وحصل مقابل ذلك على المال الذى يحتاجه للإنفاق على سهراته النسائية.

الثانية: إحدى أفراد عائلة هندية مشهورة بأعمال التجسس لصالح ألمانيا، تزوجت من ضابط مخابرات إنجليزى فى القاهرة، فقام والدها بسرقة حقيبة مستندات الضابط التى تحوى كثيراً من أسرار القوات البريطانية، وهرب فانتحرت لتبرئة زوجها.

الثالثة: فتاة ألمانية وقعت فى غرام روسى يعمل لصالح المخابرات الروسية ، حيث تمثلت مهمته فى دس السم للمنشقين من الروس فى أى بلد آخر بالإضافة إلى نسف المنشآت الحساسة وقد ارتدى ثوب البطولة بهذه الأعمال الدنيئة، وتسترت آنجى على هذا الجاسوس وعاشت معه بالرغم من دأبه الشديد على إيذاء بلادها.

الناشر





مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

أنطونيا مانولى
براجا جوبال
آنجى بوهل

فريد الفالوجي



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
١٨١١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى
٧-٠٤٢-٣٩٩-٩٧٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطن وبذلك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة على أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى كتابنا هذا .. سنندهش أمام حالة ثلاث جاسوسات من جنسيات مختلفة .. وانخرطن فى العمل السرى لأسباب أيضا مختلفة .. وكلها تصب فى قالب واحد .. ألا وهو الجاسوسية ..!

فريد الفالوجي

القاهرة ـ مدينة نصر

أنطونيا مانولى



الجاسوسة السوفييتية التى عشقت جاسوسًا فى فرنسا .. وأصيبت بصدمة عاطفية عنيفة عندما تزوج من فتاة أخرى منهيًا بذلك قصة حب دامت لسنوات .. فدفعها الغضب والغيرة إلى الانتقام منه بأن أبلغت عن شبكة الجاسوسية.. فهدمت المعبد بذلك فوق رءوس الجميع..!!

عاصمة التجسس بالجمال

الحب هو أقوى البواعث التى حرصت أجهزة الاستخبارات على رعايته واستغلاله للسيطرة والتجنيد والتجسس. فهو كما يقولون أمضى الأسلحة التى حاربت بها الجيوش فى معاركها الخفية منذ أقدم العصور وحتى اليوم . فقد كان نابليون بونابرت يقول:

«إن جاسوسًا واحدًا فى المكان المناسب خير من عشرين ألفًا فى الميدان» .

وانتقلت الجاسوسية من ميادين الحرب إلى «غرف النوم» وتسربت الجاسوسات إلى أبهاء القصور كان مدعاة للوصول إلى أخطر الأسرار والخطط، واختصار الطريق إلى الهدف.

لقد كانت «لويز كيراوى» أبرز أمثلة جاسوسات غرف النوم، تلك المرأة الرائعة الحسن والإثارة التى أهداها لويس الرابع عشر إلى شارل الثانى ملك إنجلترا، فاستحوذت على عقل الملك بمواهبها المتعددة حتى منحها لقب «دوقة أوبينى» تقديرا لخدماتها «الغرامية» .

إن صوت التاريخ كما يقول فولتير ـ هو وقع أقدام «المخرب» أثناء صعوده، وحفيف الحذاء الحريرى «الجاسوسة» أثناء الهبوط عليه.

واختيار المرأة الجميلة لتتخذ من فتنتها سلاحاً حربياً فتاكاً فكرة قديمة، مؤثرة، نجحت فى توظيفها أجهزة الاستخبارات بعد تطويرها وإضفاء المنهج العلمى والنفسى والتحليلى عليها.

وإذا كان السوفييت قد لجأوا إلى استخدام الشباب من الذكور ذوى الوسامة والأجساد الرياضية والرشاقة للإيقاع بالفتيات الغربيات العاملات فى مراكز حساسة، وجرهن إلى غرف النوم للسيطرة على أعصابهن وعقولهن [١] ، برعت الاستخبارات السوفييتية أيضاً فى السيطرة على الشباب الغربى بواسطة فتيات حسان امتلأن حلاوة وعذوبة ونعومة، وحصلن من خلالهم على أدق الأسرار، خاصة مع أولئك الذين يعملون فى وظائف ومراكز هامة فى بلادهم .

لذلك، لا تأخذنا الدهشة أمام حالة عامل الشيفرة فى سفارة واشنطن بموسكو، ذلك الذى فقد عقله أمام الفتاة الروسية

---

(١) كما حدث مع جودى كوبلن المحللة الاستراتيجية فى وزارة العدل الأمريكية، والتى جاءت فى سلسلة كتابنا.

الفاتنة وسلمها دفتر الشيفرة عن طيب خاطر ليفوز بفوران أنوثتها، وتتنصت موسكو على سفارات أمريكا لفترة طويلة حتى انكشاف السر.

وهذا السيناريو المكرر ... هو ما حدث أيضاً مع العديد من السفارات الأجنبية فى العاصمة موسكو، تلك المدينة الثلجية الضبابية التى أطلق عليها فى يوم من الأيام «عاصمة التجسس بالجمال» ، نسبة إلى تفننها فى اختيار فتيات جميلات للإيقاع بالدبلوماسيين الأجانب فى سفارات بلادهم.

أريد نُسخاً منها

لقد كان جيمس هولبروك الملحق العسكرى الأمريكى فى موسكو أحد ضحايا هذا الجمال النادر.

ففى عام ١٩٨١ كان قد كلف بالتحقق من الشائعات التى ترددت حول تجهيز السوفييت لغزو بولونيا التى شاعت فيها الفوضى بسبب نقابة «تضامن» التى تطالب بإعادة تخطيط الاقتصاد والسياسة فى بولونيا .

لكن بدلاً من البحث وراء الحقيقة، تصيدت الدبلوماسى الأمريكى فتاة ساحرة رقيقة تضج أنوثة ووداعة. وبينما كان

يحسو من لطائف مذاقاتها مستسلماً لأحضانها فى شقة أعدت كمصيدة، دفع الباب فجأة وانطلقت فلاشات آلات التصوير. فجذب هولبروك ثيابه واستجمع أعصابه رافضًا التهديد بالعمل ضد بلاده، وغادر موسكو إلى واشنطن بعدما أخبر رؤسائه بما وقع له.

وكان الرئيس الأندونيسى«أحمد سيكوتورى» مشهور عالميًا بعلاقاته النسائية التى بلا حدود، وأثناء زيارة قام بها لموسكو مدتها ثلاثة أيام، كان من الطبيعى أن تحاول الاستخبارات السوفييتية تصويره لابتزازه.

وفى جناحه بالفندق دفعت إليه بمجموعة من الفتيات الحسناوات اللاتى يصعب مقاومتهن ليختار واحدة منهن ، لكنه اختارهن جميعاً ليعيش بين أحضانهن ساعات من المتعة المدهشة.

وعندما عرضت عليه الصور تمهيدا لإخضاعه، أدهشهم سيكوتورى بأن طلب منهم نسخاً أخرى من الصور ليعرضها على ضباطه وأعضاء حكومته وشعبه إظهارا لرجولته وفحولته، مما أفشل خطة ابتزازه.

حسناوات روسيا

وفى كتابه «التجسس الجنسى» ذكر ديفيد لويس أنه أجرى مقابلة فى تونس مع «فييرا» ، وهى فتاة روسية حسناء هربت من وراء الستار الحديدى، وقد أخبرته كيف تجند الاستخبارات السوفييتية أجمل وأذكى الفتيات من المدارس والجامعات والمعاهد المختلفة، وتعهدهن بأجور وامتيازات تفوق ما يحصل عليه معظم الروس مقابل عمل هام للدولة لا يحدد فى البداية، ثم يؤخذون إلى معسكرات سرية فى مناطق نائية لأخذ دروس لإذابة كل المشاعر الإنسانية لديهن ورجفات الضمير.

وتضيف فييرا:

- فى البداية يراقبن أفلام الجنس لتعلم طرق ممارسة الجنس والأوضاع المختلفة، ثم يؤمرن بالتجرد من ثيابهن أمام نساء أخريات، ثم أمام رجال، ويعودوهن على الممارسة العملية مع أشخاص غرباء تمامًا ، وتصور أفلام أثناء ذلك يعاد عرضها ومناقشة الأخطاء والملاحظات.

وبعد عدة أسابيع تفقد الفتيات الخجل، ويصبحن عند ذلك

جاهزات لتنفيذ أية مهام تتعلق بالإغواء بدون أى تردد.

وقالت فييرا[1] :

« قيل لنا أن نتذكر دائما أننا جنود نقاتل فى الجبهة الأولى لمعركة أيديولوجية، وفى الحروب قد يؤمر الجنود بعمل أشياء قد لا يجدونها لا أخلاقية فى الحياة المدنية. ولكن التضحيات المؤلمة ضرورية، وأجسادنا تستخدم فى سبيل القضية.

وعندما انتهى التدريب كنا قد أصبحنا كما أرادوننا، لا نؤمن بالمثل والأخلاق، وكأننا ساقطات قاسيات ومعقدات التفكير، وقادرات على إغواء أى رجل تختاره السلطات لنا وإعطاءه ما لم يره فى حياته على الفراش».

الخادمة والسفير

هذا .. وقد تعبت فييرا وملت من عملها كجاسوسة جنسية فى عام ١٩٦٣ ، بعد أن أغرت دبلوماسيًا فرنسيًا تم تصويره معها فى أوضاع مخجلة، ولأنه كان متزوجًا ولديه أطفال، فقد أذهلته الصدمة التى فوجئ بها ، وانتحر بأن ألقى بنفسه أمام سيارة

(١) روجر بور ـ نيجل بلونديل : ملف جواسيس العالم ـ دار الكتاب العربى، دمشق ـ القاهرة ١٩٩٣ .

مسرعة فى موسكو، مما اضطرها إلى إغـراء ضـابط روسـى مقـابل تـأمين أوراق رسميـة لـتزور برلـين الشـرقية، ومنـها هربـت إلى الغرب.

وبسبب محـاولات اصطيـادهم بواسـطة الروسـيات الحسـناوات، انـتحر أيضاً الملحق الجوى الفرنسى فى موسكو، الكولونيل «لويس جيبود» ، بعد تورطه فى علاقة غرامية مع عصفورة سـوفييتية حسناء تم تصويره معها .

وهو ما كان مدعاة لأن يـهرب السينارسـت السوفييتى «يـورى كروتكوف» عام ١٩٦٣ويلجـأ سياسـيًا إلى لنـدن ، حيـث اعـترف علـى الملأ بـأن الاسـتخبارات السـوفييتية اسـتخدمته لتنظيـم عمليـات الإغراء بواسطة الفنانات كطعم.

وأضاف كروتكوف:

- إن السفير الفرنسى فى موسكو«موريس ديجين» ، تـورط مـع «عصفورتين» روسيتين جميلتين كان قد عرفه عليهما فى إحدى المناسـبات بشـكل عفـوى لا يثـير شـكوكه، حيـث تم تصويـره فـى الفراش تمهيدًا لابتزازه، وهو ما أدى إلى استدعاء السـفير الفرنسـى إلى باريس على الفور.

وقال السينارست الهارب من موسكو أن السفير الفرنسى «موريس ديجين» لم يستطع مقاومة الفتيات الصغيرات اللاتى لفتن انتباهه، حيث استسلم لأول فتاة وأصبحا شريكين فى الفراش بعد فترة وجيزة جدًا .

وهذا ما وقع أيضًا لنظيره البريطانى فى موسكو،«جيفرى هاريسون» ، الذى استدعى إلى لندن عام ١٩٦٨ ، لتورطه فى علاقة جنسية مع خادمته الروسية «جاليا» العاملة بالسفارة.

وكالعادة التقط له الروس الصور اللازمة وسجلوا له أحاديث الوسادة لابتزازه. وعندما حان وقت العمل لإخضاعه أسرع الرجل بالاعتراف لرؤسائه فى الخارجية، معترفًا بمدى الخطأ الذى اقترفه قائلاً :

- «كان علىَّ افتراض أن جاليا تعمل مع الاستخبارات الروسية، لكننى لم أحترز لذلك، وأنا بالتأكيد نادم على ما حدث، وقد حذرونى من هذه الأمور قبل أن أذهب إلى موسكو، وكان سخيفًا منى أن أفعل ما فعلت. » .

وبعد ١٣ عامًا كشف الأمر بعد أن ظل سرًا لا يعرف حقيقته أحد.

العشق والتجسس

هذا.. ويطول الحديث كثيرًا حول فتيات روسيا الفاتنات، المدربات على فن سحق العقول وخسف الإرادة، واستجلاب الأسرار بواسطة «فك» الألسنة عند «حديث الوسادة» .

وهناك من القصص المثيرة الأعاجيب التى لا تكفيها عدة مجلدات ضخمة، وكلها تظهر مدى تغلغل نشاط الاستخبارات السوفييتية بواسطة النساء.

ومن خلال دراسة تفاصيل القصة التالية يمكن الوقوف على نموذج مثير لإحدى العمليات الاستخباراتية التى تمتزج أحداثها بالحب، والغيرة، والانتقام.!

وقعت أحداث هذه القصة فى فرنسا فى ثمانينيات القرن الماضى، وابتدأت عندما تعرف الشاب الفرنسى«بيار فيردييه» بالحسناء «أنطونيا مانولى» رومانية الأصل . وكان بيار وقتها طالبًا بمعهد البوليتكنيك ، وشيئًا فشيئًا نشأت بينهما علاقة صداقة تحولت إلى عشق مجنون، أسبغت عليها أنطونيا حرارة الحب الملتهب العنيف المغلف بالحنان والدفء السلافى.

تخرج بيار من المعهد المرموق ليعمل فى المؤسسة الوطنية للاقتصاد والإحصاء، وهى مؤسسة استراتيجية هامة معنية بجمع وتحليل ودراسة المعلومات المتنوعة عن القطاعات الإنتاجية الوطنية فى فرنسا، وذلك بما فيها المعلومات السرية للغاية عن الاقتصاد القومى والعلاقات الدولية بفرنسا، وبها شعبة خاصة تهتم بدراسة مشروع الصاروخ «إريان» .

تواصلت علاقة العشق بين بيار وأنطونيا لسنوات طويلة، أضفت خلالها أنطونيا لذائذ حنانها وأنوثتها على حياته، فأدمن الدم السلافى حتى أن هذا الأمر شكل لديه نقطة ضعف أرّقته طويلاً، ولم يجد علاجاً لحنينه المتعاظم الغريب إلى الجنس البشرى السلافى، فهو يحب النساء، وخاصة نساء دول الكتلة الشرقية، وحبذا لو كانت المرأة من عمق الانتاج السلافى، إذ يفشل عندئذ فى مقاومتها دون أدنى تفكير، ويسقط ضحية هذه الدماء الحامية الباردة بآن واحد[1] .

لكن أنطونيا مانولى على كل حال بقيت دائمًا على رأس صديقاته، وعشيقاته، ولم تكن لديه القدرة على التخلص من هذا

---

(١) نساء جاسوسات .. أشهر النساء فى حقل الجاسوسية. المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٩٤.

الارتباط، سيما وهناك أسرار خاصة جدًا يشتركان فيها وتربطهما معًا . (!!)

كيف..؟

ببساطة شديدة كانت أنطونيا الحبيبة العاشقة الحنون، الجاسوسة سوفييتية ، تمكنت بما يتوافر لديها من ملكات أنثوية من السيطرة على بيار فيردييه، وجره إلى بئر الخيانة راضيًا وقانعًا بالمقابل السخى الذى كان يتحصل عليه من سحر وحرارة الرومانية الفاتنة، حيث أغدقت عليه بكل ما لذ وطاب من أنوثتها لدرجة التخمة، حتى أنه لم يطمع يومًا فى مقابل مادى يوازى حجم المعلومات الاستراتيجية البالغة الأهمية والسرية، التى كان يمد السوفييت بها.

الفراشة الهائمة

كان الغرض الأساسى الذى استدعى التجسس السوفييتى على فرنسا، هو التوصل إلى أسرار تتعلق بالصاروخ «إريان» الفرنسى الأوربى المشترك، وهو الصاروخ الذى يحمل الأقمار الصناعية ويدفع بها إلى مدارها الفضائى المحدد حول الكرة الأرضية، خاصة بأجهزة المرحلة الثالثة التى تقوم بهذه المهمة.

والصاروخ «إريان» تم تصميمه ليحمل إلى الفضاء أقمارا اصطناعية[1] للاتصالات، ولأغراض علمية، وللتجسس أيضا، حيث ازدادت شهرته فترة الانهيار الفضائى الأمريكى إثر مأساة

---

(١) فكرة وضع القمر الاصطناعى فى مداره جاءت فى قصة عنوانها «القمر القرميدى» كتبها «أدوارد أفريت» ونشرتها مجلة أتلانتيك الشهرية، حيث تحدثت عن قمر اصطناعى يمكن استخدامه كمحطة عسكرية مأهولة. وخلال الحرب العالمية الثانية وضع «والتر دورنبرجر» قائد إحدى القواعد الألمانية اقتراحا لقمر صناعى بدائى فى كتابه« V II » وكانت له فكرة خرافية: (بصواريخنا الكبيرة والتى تعمل على عدة مراحل يمكننا بناء سفن فضائية تدور حول الأرض مثل القمر وعلى ارتفاع ٣٠٠٠ ميل وبسرعة ١٨ ألف ميل فى الساعة). وحلم الكاتب البريطانى «أرثر كلارك» بقمر اصطناعى حقيقى، واقترح ذلك فى مقال نشر فى فبراير ١٩٤٥ بمجلة «العالم اللاسلكى» . وفى يونيو ١٩٥٤ تقدم الدكتور «ورنرفون» باقتراح إلى الحكومة الأمريكية يتضمن فكرة وضع معدات الصواريخ العسكرية تحت إمرة العلماء لإطلاق قمر اصطناعى إلى الفضاء، ولقى الاقتراح قبولاً شديدا. وفى أكتوبر ١٩٥٧ نجح السوفييت فى إطلاق قمر اصطناعى عرف باسم «سبوتنيك» وتبعهم الأمريكان بعدها بشهرين.

كان وراء النجاح السوفييتى عالم أسطورى يدعى سيرجى كورلوف الذى قال كلمته المشهورة « الآن تحققت أحلام الجنس البشرى وبدأ عصر الفضاء » . وكان كورلوف هو الذى صمم جهاز الإطلاق «فوستوك» الذى استخدم لإطلاق أول رجل « يورى جاجارين » إلى الفضاء فى ١٢ أبريل عام ١٩٦١. هكذا قدر لكورلوف أن يكون مسئولاً عن وضع أول قمر فى مداره، وأول حيوان فى مداره «الكلبة لايكا» ، وإرسال أول إنسان إلى الفضاء، وصمم أول قمر استطلاع سوفييتى هو «كوزموس ٤» ، ومع ذلك توفى عام ١٩٦٦ ولم يسمع باسمه سوى عدد قليل خارج الاتحاد السوفييتى، وعدد قليل أيضاً داخل الاتحاد السوفييتى.

وفى نوفمبر ١٩٨٢ نشرت مجلة علمية دولية تقريرًا لها حول الأقمار الاصطناعية ونسبة الأقمار العسكرية إلى الأقمار المدنية فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى، وجاء بالتقرير أن النسبة فى واشنطن هى ٥٠ إلى ٥٠ ، بينما بلغت فى موسكو ٩٠ إلى ١٠ ، وأن هناك من أصل ٣٠٠ قمر اصطناعى فى الفضاء، ١٨٠ قمرا أمريكياً ، و ١٠٠ قمر روسى ، و ٢٠ قمرا لعدة دول مختلفة، ويقدر عدد العملاء السريين الذين يعملون لصالح الاتحاد السوفييتى داخل الولايات المتحدة وحدها بـ ١٠٠٠ عميل يجمعون المعلومات حول تكنولوجيا الفضاء .

(جراهام يوست ـ تقنية التجسس . ترجمة إلياس فرحات دار الحرف العربى ، ودار المناهل . بيروت ١٩٩٣).

مكـوك الفضـاء تشـالنجر. وأيضًـا، بعدمـا نجـح الفرنسـيون والأوربيون فى تطوير المرحلة الثالثة مـن الصاروخ، وهـو النجاح المذهل الذى كان مدعاة لمحاولات شتى لاختراق أسراره وكشفها من قبل العديد من الدول، منها الاتحاد السوفييتى.

من هنا كان الهدف الأساسى لقصة التجسس التى نحن بصددها، حيث كلن المطلوب هو تكشف أسرار المرحلة الثالثة مـن الصاروخ، تلك المرحلة التى تعمل على دفع الأقمـار الاصطناعيـة إلى مدارهـا بنجاح، وذلـك خـلال دقيقـة انفاصلـه عـن بقيـة جسـم الصاروخ «إريان».!!

سقط إذن بيار فيرديية فى مصيدة الجاسوسـية مـع عميلـة الـ KGB الفاتنـة المدربة «أنطونيا مانولى» .

بيد أن أنطونيا الجميلة المدربة ، وقعـت فـى حـب بيـار دون أن تملك لذلك دفعاً أو مقاومة، وبدلاً مـن أن تسـتغل الحبيـب العاشـق لآخر مدى فى خدمة أسيادها، تحولت إلى فراشة هائمة فـى عالمـه، تلسعها الغـيرة كلما تكشـفت لهـا مغامراتـه مـع نسـاء أخريـات مـن الجنس السلافى.

عواطف متأججة

ويبدو أن الاستخبارات السوفييتية كانت قد تأكدت من هذا الحب الجارف الذى ربط عميلتهم الحسناء بالجاسوس الفرنسى الذى جندته، وهو الحب الذى قد يقود إلى كارثة محققة تقضى على الاثنين معًا وتسبب حرجًا دبلوماسيًا لموسكو.

خاصة وأن الملحق الجوى السوفييتى فى باريس، وهو بالأصل أحد ضباط الـ KGB ، كان هو المشرف على نشاط أنطونيا والموجه الأول لها فى باريس ، بل وكان يتسلم منها التقارير السرية والمعلومات التى تحصل عليها من بيار.

لذلك ..

اتجهت النية فى موسكو إلى تزويجها من عميل سوفييتى، غادر موسكو خصيصاً بالفعل، للجم عواطف العميلة العاشقة، وكان زوج المستقبل هو «سيرج نوتو» .

لم تكن لأنطونيا حرية الاختيار أو الرفض أو التصرف، فحياتها كانت تخضع لحسابات غاية فى الترتيب المسبق، لذا ، فقد رضخت دون تذمر لإرادة سادتها، وتزوجت من العريس القادم من

موسكو فى حفل بسيط كان بيار أحد أهم مدعويه.

لكن:

- هل همدت عواطف أنطونيا الجياشة تجاه بيار بعد زواجها..؟

- وهل رضيت بالواقع المفروض عليها قسرا ..؟

لا ..!!

لم تنس أنطونيا حبيبها بيار..

لم تطرده للحظة من فكرها وذاكرتها ..

ولأن العمل مستمر بينهما ظلت عواطفها تجاهه فى حالة فوران وتأجج .

عرض بالزواج

وبالرغم من توسع نشاط الشبكة السرية وانضمام أعضاء جدد إليها، ظلت أنطونيا وفية لحبها، بداخلها إصرار على أنها ستفوز بيار ذات يوم ولن تفارقه أبدًا .

لكن بيار الذى دأب على التنقل كالفراشة من وردة لأخرى، كان قد استراح وانتابته فرحة عارمة لزواج أنطونيا، على أمل أن

تكف عن مطاردته واختبار مشاعره، ومحاصرته بالغيرة المستبدة، وهو الأمر الشاذ الذى غلف قصة عشق الجاسوسة السوفييتية وغيَّر خطوطها.

ولأن بيار كان دائم البحث عن الجمال والفتنة، كان باستمرار بحاجة إلى مزيد من المال للإنفاق على سهراته وعلاقاته ومغامراته. لذلك نراه وقد انتبه أكثر وأكثر إلى عمله التجسسى من أجل المال، وقام بتجنيد «جان ميشيل هورى»، وهو رسام صناعى نشط، للوصول إلى كافة الملفات السرية عن الصاروخ إريان نظرا لعمله كموظف فنى فى المؤسسة، فهو الوحيد الذى يستطيع الحصول على المعلومات الفنية المطلوبة عن الصاروخ، مهما بلغت ذروة طابعها السرى.

وذات يوم، قام بيار فيرديبه بزيارة قصيرة إلى موسكو بغرض السياحة، فى حين كان الغرض الأساسى هو التباحث مع بعض رجال الـ KGB حول سياسة العمل وتطويره.

وفى هذه الزيارة صادف بيار الفتاة الروسية البارعة الجمال «لودميلا فارجين» ، ووقف كالأبله أمامها لا يصدق أن هناك فتاة تحمل كل هذا القدر من الجمال والبراءة.

وبدلاً من استعمال مناوراته المعهودة للالتفاف حولها لقضاء سويعات معها قبل مغادرته إلى باريس، وجد نفسه دون أن يدرى يعرض عليها الزواج والانتقال للعيش معه إلى فرنسا.

كانت المفاجأة صاعقة بالنسبة للفتاة الروسية الحسناء، حيث وجدتها فرصة ذهبية بالنسبة إليها، للانتقال بعيدًا عن الجو الخانق فى موسكو، وكان هذا رأى أسرتها أيضًا.

لذلك وافقت الفتاة الجميلة على الزواج منه وهى تكاد تطير فرحًا وابتهاجًا بحياتها الرائعة المقبلة، والمستقبل الواعد الجديد الذى ينتظرها فى عاصمة النور، والموضة، والفن، والجمال، فى أوربا والعالم.

طار بيار إلى باريس لإنهاء إجراءات استقدام فتاته لإتمام زواجه بها رسمياً، إلا أنه ووجه بالعراقيل الإدارية التى لا نهاية لها بسبب عوامل كثيرة ، كان من أهمها تلك المبررات السياسية والأيديولوجية التى يصعب تسويتها بسهولة، خاصة لمن فى مثل موقعه الوظيفى الهام.

الزوجة الجاسوسة

وبالرغم من جملة التحفظات التى أخَّرت إجراءات الزواج، إلا أن بيار كان لديه تصميم على الاقتران بفتاته التى سحرته كأول أنثى انبهر بها من أول نظرة.

وأمام هذا التصميم اتخذت المسارات خطوات جادة نحو إنهاء الإجراءات لصالحه .

لكن بقيت مشكلتان كان عليه مجابتهما وتسويتهما بشكل نهائى:

المشكلة الأولى : الاستخبارات السوفييتية KGB ، حيث كانت هناك رغبة فى عدم إتمام هذا الزواج، خشية تعرض شبكة أنطونيا للخطر.

فزواج الباريسى من فتاة روسية كان سيلفت انتباه الأجهزة الأمنية الفرنسية، وبالتالى تضعه تحت الميكروسكوب ، وستخضع علاقاته العامة وتصرفاته الحياتية والوظيفية والاجتماعية

لاهتمام أمنى دائم قد يؤدى إلى منغصات عديدة، وربما إلى كارثة محققة.

بيد أن العميل السوفييتى الاستراتيجى كان إصراره يزداد يومًا بعد يوم على الزواج من لودميلا، وفشلت كل المساعى الودية لإبعاده عنها.

وأمام كل ذلك لم يكن هناك سوى الإذعان نهائيأ لرغبته، خاصة بعدما فشل مسئول استخباراتى كبير فى إقناعه بقضاء أوقات ممتعة مع فتاته طوال فترة إقامته فى موسكو، على وعد بتوفير أوقات أخرى تجمعهما معًا فى كل زيارة مستقبلية للعاصمة الروسية.

وكان رفض بيار عاملأ رئيسيًا فى استدعاء لودميلا فارجن إلى أحد المكاتب الأمنية، وإفهامها بأن الدولة لن تعارض زواجها من بيار تحت كل الظروف، لكن عليها فى حال انتقالها إلى باريس ألا تنسى أنها مواطنة روسية، وأن كل مواطن روسى فى الخارج هو بمثابة جندى فى خدمة بلاده ومصالحها وقضاياها.

وقيل لها أيضاً أنه سواء أكان هذا المواطن رجلأ أم امرأة، ففى

رقبته دين لبلاده، ويجب عليه ألا تنسيه حياته الجديدة فى أوربا اهتماماته بوطنه الأصلى وأمنه ومستقبله.

الأمر إذن كان جرجرة لودميلا إلى العمل مع زوجها ضمن شبكة أنطونيا، ومع الترهيب المغلف لم يكن هناك رأى للفتاة العاشقة التى أملت فى حياة أفضل مع زوجها الوسيم الحنون، فاستسلمت خلال عدة لقاءات أمنية إلى يد الخبراء السوفييت، الذين تولوا أمرها وشكلوا منها عميلة مدربة تتمتع بحس أمنى عالٍ يؤهلها لأن تكون جاسوسة بارغة، وفى الوقت نفسه زوجة لجاسوس يعمل لصالح بلدها.

الصفقة..!!

أما المشكلة الثانية، فكانت أنطونيا مانولى. العاشقة التى ما يزال قلبها يخفق بالحب لبيار برغم زواجها من فحل روسى ، أرسل خصيصاً لاحتواء عواطفها وغرائزها.

بيد أن هذا الزوج القادم من بلاد الثلج والصقيع لم يكن لديه الحنان الاصطناعى الكافى ليمنحها إياه، فبقيت هكذا تشعر بالبرد ولسعاته حتى وهى بين أحضانه، يغلفها شغف دائم بالحبيب الذى

أهمل مشاعرها وحطم فيها كبرياء الأنثى.

ومع زواج بيار ولودميلا المفاجئ، ذاقت أنطونيا مرارة الغيرة المهلكة والمعاناة، ووحشة الوحدة والذائبة فى صقيع التجاهل القاتل.

حتى أنها لم تنسى على الإطلاق حفل زواج حبيبها من الفتاة السلافية المنافسة.

ففى ذلك اليوم الصعب لم يكلف بيار نفسه عناء احتواء غضبها ببضع كلمات، بل أنه لم يهتم أصلاً بوجودها ، منشغلاً بالعروس الجميلة التى بهرته وأنسته ذكرياتهما معًا لسنوات طويلة فائتة.

هكذا أصيبت أنطونيا بنكسة عاطفية عنيفة كادت أن تتلف أعصابها وتقودها إلى الجنون .

وخوفًا من أن يجرفها تيار الغضب والغيرة إلى طريق مظلم حالك مجهول، انشغلت العميلة السوفييتية بتنظيم عملها التجسسى للحد من جموح الألم الذى ينهش فؤادها وعقلها.

كانت محنة صعبة رهيبة، جاهدت أنطونيا اليائسة لأن تخرج

منها بدون خسائر .

لكن كيف تستطيع العاشقة الجريحة أن تتحمل ارتعاشات الغيرة لديها ؟ الغيرة التى تسحق مقاومتها فتئن أعماقها أنات أليمة لا يشعر بها سواها ؟

هذا فى حين ذكرت مصادر أخرى أن زواج بيار من لودميلا جاء فى فترة سابقة على تجنيده للعمل لصالح السوفييت، حيث تعرف على الفتاة الروسية فى إحدى رحلاته السياحية إلى موسكو ، ومن هنا بدأت سياسة الاستفادة من هذا الزواج، وبدأت أجهزة الاستخبارات السوفييتية بالتحرى عن هوية ووظيفة طالب الزواج الفرنسى الأصل ، والذى يعمل بتجميع المعلومات الاقتصادية والتكنولوجية وتحليلها بصفته موظفًا بمؤسسة حيوية هامة فى باريس.

ولذلك اعتبرت الاستخبارات السوفييتية أن بيار فيرديبه صيد ثمين لا يمكن التفريط فيه، وخاصة كونه مولعًا بالجنس السلافى، وهذا يعنى احتمال الاستفادة به أكثر .

وبعد التحرى والبحث، استدعته السلطات الروسية إلى الإدارة المختصة ببحث طلب الزواج ولإقرار الموافقة أو الرفض.

وهناك بـدأت المفاوضات والمساومات، وعرضت عليه وسائل الإغـراء والـترغيب والتـهويل المبطـن، ومـن ثـم دخلـت محبوبتــه لودميلا تلك الإدارة أيضًا لتبدأ عملية النقاش، ولكن من نوع آخـر يتضمـن الأوامـر الناعمـة والتذكير بالمصلحة القوميـة العليـا مـن أجل تعزيز مرتكزات السلام الدولى. وتتـم فـى النهايـة موافقـات الأطراف مجتمعـة، وتتـم معـها الصفقـة المزدوجـة، ويغلـب الغـرام على مصلحة الدولة عند الفرنسى المنبهر بفتاته الحسناء.

هـدم المـعـبـد

وعلى الطرف الأخر التاعت العشيقة أنطونيا الرومانية عميلة السوفييت ، عندمـا تعـرف أن بيـار فضـل عليـها فتـاة أخـرى وتزوجها . لكنها كانت تجاهد بصعوبة لكـى تتغلـب علـى محنتـها، لذلك كانت تواصل تجسسها بالاشتراك مع أعضاء شبكتها.

إلا أن هـذه الروايـة التـى تم الـترويج لها تبـدو سـاذجة إذا مـا نظرنا إليها بشكل منطقى .

فالشاب الفرنسى، بيـار فيرديـيه، كـان بـالأصل يتعـامل مــع

أنطونيا كعشيق وجاسوس فى الوقت نفسه، لكنه حذف الشق الأول واستمر على علاقته بها كزعيمة للشبكة، حتى أن الصور التى نشرت لزواجه من لودميلا[1] أظهرت أنطونيا تقف خلفه مباشرة تملأ الابتسامة المصطنعة وجهها، بما يؤكد لنا أن زواج بيار جاء بعد انخراطه فى الجاسوسية والخيانة لا قبل ذلك.

على كل حال، استمرت علاقة بيار بأنطونيا بسبب عملهما التجسسى المشترك، حتى أنه لم يمانع بعد ذلك فى اشتراك لودميلا معه فى نشاطه السرى، وتوطيدت العلاقات بين جميع أعضاء الشبكة فى خطأ استخباراتى[2] جسيم لا يصدر عن جهاز الـ KGB المشهود له بالكفاءة والمهارة.

وبرغم تزاحم برنامج العمل لدى أنطونيا، الزعيمة، إلا أنها كانت تعانى معاناة شديدة قاسية بسبب زواج بيار من فتاة غيرها، وكانت تأكلها الغيرة فى كل لحظة لأنه استبدلها بأخرى

---

(١) جاءت هذه الصور بالمصدر الأخير الذى سبق ذكره

(٢) هذا الخطأ أيضاً هو الذى أوقع بشبكات جاسوسية عديدة فى شتى أركان الأرض، أشهر هذه الشبكات: شبكات الموساد للتجسس على العراق، تلك التى سقطت بعد إعلان قيام إسرائيل بوقت قليل، وجاء بعضها فى كتابنا: «جواسيس الموساد العرب» عن مكتبة مدبولى بالقاهرة.

أجمل منها وأصغر سناً ، فضعفت مقاومتها إلى درجة الحضيض، وأقدمت بدافع الحقد والغيرة على خطوة انتقامية مذهلة، وذلك عندما قررت القضاء عليه وعلى مستقبله إلى الأبد، بل ومستقبل أعضاء الشبكة جميعهم[1] .

فماذا فعلت أنطونيا..؟

استقلت سيارتها «الرينو» وقادتها بسرعة جنونية إلى أحد أقسام الشرطة قرب ميدان الكونكورد، وهناك سألت الضابط المنوط بمقابلة المبلغين:

ـ هل لك أن تدلنى على أقرب مكتب أمنى يتبع جهاز الاستخبارات الفرنسية ..؟

ذهل الضابط وقال بهدوء :

ـ هل أنت متأكدة سيدتى مما تقولين ..؟

صرخت فى انفعال :

ـ نعم .. إن لدى بلاغ هام أود الإفصاح عنه .. أرجوك أن

---

(١) قبل ذلك حدثت واقعة مشابهة فى العراق، عندما أقدمت عميلة للموساد على الانتقام من حبيبها بإبلاغ السلطات العراقية بنشاطه التجسسى، وحكم عليه بالإعدام. (التفاصيل جاءت بالفصل الثانى من كتابنا: جواسيس الموساد العرب).

تأخذنى لأقرب مكتب يمكننى فيه التحدث إليهم .. إن الأمر جد خطير ويعنى بأمنكم القومى.

فسألها:

ـ هل لى أن أطلع على جواز سفرك سيدتى؟

وهى تكظم غيظها:

ـ لن يمكنك ذلك أيها الضابط..!!

أجلسها الرجل وقدم لها مشروبًا وطلب رقمًا تليفونيًا :

ـ أنا الملازم رينيه ... لدى سيدة ترغب فى الإدلاء بمعلومات خطيرة تتصل بالأمن القومى لفرنسا..

الأنثى هى الأنثى

وبعد دقائق جاء من أخذها إلى مكان آخر .. حيث جلست فى حجرة مريحة، وقدمت إليها رزمة من الأوراق وطلب منها كتابة ما ترغب فى الإبلاغ عنه ..

بعدها بأيام .. فوجئ الرأى العام الفرنسى ببيان رسمى من الأمن العام يفيد باعتقال سبعة أشخاص يؤلفون شبكة تجسس

لصالح السوفييت، يتزعمها شاب فرنسى متزوج من فتاة سوفييتية، وأن الرأس المدبر للشبكة دبلوماسى روسى يشغل منصب الملحق العسكرى الجوى فى السفارة الروسية بباريس،

وجاء فى البيان:

- «إن اهتمام الشبكة التجسسية فى الفترة الأخيرة اهتم بكشف أسرار المرحلة الثالثة من الصاروخ «أريان» الفرنسى المطور ، وجمع المعلومات الفرنسية، التكنولوجية والعلمية والصناعية ، بشكل متواز مع توجهها نحو جمع المعلومات المختلفة للسوفييت، رغبة فى اختصار مدد الأبحاث العلمية، وتوفير الجهود والأموال المخصصة فى البحث العلمى والتكنولوجى».

وجاء بالبيان الإعلامى أيضًا:

- «إن التجسس العلمى[1] الذى قامت به الاستخبارات السوفييتية، شمل ٢٤٤ عملية تجسس لمؤسسات فرنسية مختلفة

---

(١) التجسس لا ينصب مضمونه على النواحى العسكرية فقط، لكنه يشمل شتى الأمور التى من شأنها دفع عجلة الاقتصاد والصناعة بل والزراعة والأبحاث المختلفة لدى الدول المعنية. وتعد إسرائيل أشهر من تجسست على المصانع الاستراتيجية والمؤسسات العلمية فى أمريكا وفرنسا، ولازالت تواصل هذا النوع من التجسس التقنى حتى الآن.

فى مجالات الصناعات التمويلية، والطيران، وتكنولوجيا الفضاء، والإلكترونيات التطبيقية والطاقة وغيرها».

لكن المثير حقًا ، أن تنتهى قصته التجسس هذه بسبب دافع الغيرة القاتلة، والرغبة فى الانتقام .

وعندما سئل سيرج نوتو، زوج أنطونيا، الذى وجد مختبئا فى مدينة رين Rennes عن تعليقه إزاء اعتراف زوجته على الجميع وكشفها لنشاط الشبكة بكامل إرادتها، قال:

- «هذا آخر ما كنت أتوقعه من أنطونيا .. برغم إدراكى لحجم معاناتها النفسية بعد زواج بيار» .

وأضاف :

- «لقد فعلت الكثير من أجل تهدئتها لكنها كانت فى حالة ميئوس منها .. حالة حب ضائع أدت إلى انعدام وزن يستحيل معها التماسك والاتزان .. وهذا ما أرهق أعصابى قليلا وسبب لى منغصات متواصلة .. إلا أن التصرف الذى أقدمت عليه كان مفاجأة بحق .. وهذه هى الأنثى .. الأنثى العاشقة التى تحب بكل ما لديها من مشاعر فياضة.» .

أما بيار فيرديه فقد رفض التعليق على ما حدث ، مكتفيًا بعبارة موجزة قال فيها :

- «إنه الحب ... الحب الذى قد يصنع المعجزات .. أو يدمر تدميرًا مذهلاً لا إصلاح بعده .» .

بينما قالت زوجته لودميلا :

- «لو أننى كنت أعرف من البداية أن أنطونيا تحب بيار إلى هذا الحد، لانسحبت بعيدا عنها.. فأنا امرأة مثلها وأعرف معنى الحب.. وأتصور نيران الغيرة التى تحرق المرأة إذا طعنت من حبيبها فى عواطفها.. حتى ولو كانت هذه المرأة زوجة لآخر»!!

* * * *

براجاجوبال



ابنة لعائلة يعمل جميع أفرادها فى التجسس على الحلفاء لصالح ألمانيا. جاءت إلى القاهرة مع عائلتها فأحبت ضابطاً إنجليزياً سرق منه والدها حقيبة أوراق عسكرية وهرب. ولأنها أحبت بصدق، انتحرت بمسدس زوجها أمام عينيه لتثبت له براءتها ... ولكى تنقذه أيضاً من الإعدام رمياً بالرصاص .

المهراجا الهندى

أثناء الحرب العالمية الثانية، كانت القاهرة مرتعاً للجاسوسية بين أجهزة استخبارات الدول المتحاربة.

وحدث فى أوائل يناير من سنة ١٩٤٢، حين كانت الغارات الجوية تتوالى على القاهرة منذ حدثت للمرة الثالثة، أن لاحظ مراقب الوقاية المدنية أن هناك شعاعاً ينبعث فى خلال فترة الإظلام التام التى تعقب صفارات الإنذار.

وبالمتابعة تبين أن هذا الشعاع المتجه إلى الفضاء، ينبعث من نافذة غرفة فى الطابق الثالث بأحد فنادق القاهرة الكبرى، كما لاحظ المراقب أيضاً أن هذا الشعاع لا يظهر إلا متقطعاً وسط القاهرة بالقرب من منطقة الفندق[١]

ومع تكرار انبعاث شعاع الضوء، ذهب المراقب إلى المستر ادوارد مدير الفندق[٢] المسئول، حيث أخبره بتفاصيل ما لاحظه، ثم اصطحبه إلى الشارع وأراه ذلك الشعاع المتقطع.

---

(١) محمد رفعت : الجاسوسية فى مصر، سلسلة كتب للجميع، شركة التوزيع المصرية، إبريل ١٩٥١.

(٢) قيل فى مصادر أخرى أن هذا الفندق هو فندق «شبرد»

فأبدى الرجل دهشته وذكر أن كـل مـا يعرفـه أن الغرفـة التـى ينبعث منها الشعاع فى الغرفة رقم ٢٤٥، ويقيم بها منذ شهور أحد كبار أثرياء الهنود المعروفين مع أسرته، وهو المهراجا «نابـا جوبـال بابو» .. الذى اعتـاد الـنزول إلى خنـدق الفنـدق هـو وجميـع أفـراد اسرته للاحتماء به من أخطار الغارات مع بقية النزلاء.

.. وعلى أثر هـذا صعـد الاثنـان إلى الغرفـة المذكـورة لاسـتطلاع الأمر. فلما وجدا بابها مغلقا، طرقه المدير، وسرعان ما صـدر مـن داخلها صوت المهراجا نفسه يسأل «من الطارق» فى لغـة إنجليزيـة سليمة.

وهنا عرفه المدير بنفسه، وتلطف متسائلاً عما دعـاه إلى عـدم النـزول إلى الخنـدق!

فأجاب المهراجا، دون أن يفتح البـاب. بأنـه متعـب لا يسـتطيع مبارحة الفراش!

وعاد مدير الفندق يقول:

ـ لقد لاحظ مراقب المنطقة ضوءا يعكس من نافذة غرفتك يـا سيدى فجئنا نستطلع الأمر.

ولم يجبه المهراجا مباشرة بل انتظر لحظة ثم قال:

- لعله ضوء القمر ينعكس على زجاج النافذة، حسنا سأغلق النافذة الآن .

وما هى إلا لحظة حتى سمع المراقب والمدير صوت النافذة والمهراجا يغلقها فشكره الأخير، ثم انصرفا.. وانقطع انبعاث تلك الانعكاسات الضوئية.

الرحيل المفاجئ

كان المهراجا «نابا جوبال بابو » كهلا جاوز الخمسين، ولكنه مكتمل الصحة موفور النشاط . وقد نزل بالفندق منذ أربعة أشهر ومعه أسرته المكوة من زوجته الفرنسية الأصل والتي تحمل اسما هنديا «أكشاى» وبناتهما الثلاث «فيهارى» و «جيان» و«براجا» .

وكانت الأم وبناتها على حظ كبير من الرشاقة والجمال، يجمعن بين جمال الغرب وسحر الشرق، تبدو عيونهن الزرقاء الواسعة كالماسات الكريمة تضفي على وجوههن السمراء هالة من الفتنة والروعة.

وقد صرح المهراجا عقب قدومه إلى القاهرة، بأنه يقوم مع أسرته بسياحة فى أنحاء الشرق الأوسط، وأن فى نيته الإقامة فى

مصر إلى أجل طويل، بعد أن أقام وأسرته قبل ذلك وقتا غير قصير فى فلسطين.

وما أن ظهرت بنات المهراجا الفاتنات الثلاث فى ممرات الفندق وأبهائه، حتى أحاط بهن الضباط الإنجليز الذين كان الفندق يزخر بهم وقتذاك، وأخذوا يتنافسون فى التقرب منهن ، وكثيرا ما كان هذا التنافس ينتهى بهم إلى منازعات خطيرة، ما كانت لتنتهى على خير لولا لباقة الفتيات وبراعتهن في إرضاء الجميع .

ولم تمض أيام حتى التحقت الفتيات الثلاث بخدمه الجيش البريطانى كمتطوعات ، وارتدين الملابس العسكرية فزادتهن فتنة وبهاء.. وإغراء لقلوب المفتونين من الضباط الإنجليز، ومن نزلاء الفندق الآخرين أيضاً.

وإذا كانت صغراهن «براجا » تمتاز إلى جانب جمالها الفتان، بروح شاعرية رائعة وعاطفة مرهفة رقيقة وإيمان بالحب، فانها ما لبثت أن أحبت ضابطا شابا برتبة «كابتن » اسمه «روبرت هاتواى » من ضباط ادارة المخابرات البريطانية، وكان يقيم فى نفس الفندق.

ولقد بادلها هذا الضابط الشاب حبا بحب، ولم يطل بهما الوقت حتى تزوجا وأقاما فى ذات الفندق أيضا .

وجاءت محنة العلمين، وأخذت جيوش المحور تسير من نصر إلى نصر . واستيقظ «روبرت» من نومه قبيل ظهر أحد الأيام، فإذا به يفاجأ بأن غرفة صهره المجاورة قد خلت منه ومن «فيهارى » و «جيان » وأمهما.

ولم تكن زوجته «براجا» أقل دهشة لرحيل أسرتها المفاجئ، وبادرت معه يسألان مدير الفندق وخدمه ومكتب الاستعلامات عن جلية الأمر.

فإذا بكل ما لدى هؤلاء أن الأسرة قد غادرت الفندق بعد أن سددت حسابها، واستقلت سيارة أجرة عند فجر اليوم، إلى مكان غير معلوم!

سأجنبك هذا العار

عاد «روبرت» مع زوجته إلى غرفتهما وأخذا يتهيأن للخروج. فما كاد يفتح خزانة ملابسه حتى دهمته مفاجأة أخرى أدهى وأمر.

فاصفر وجهه كالأموات وتخاذلت ساقاه! وقال فى هلع :

ـ «لقد فقدت حقيبتى التى كانت مليئة بالوثائق الحربية، والتقارير السرية الخطيرة المرسلة من قيادة الشرق الأوسط إلى وزارة الحرب البريطانية فى لندن » .

وكان رؤساؤه قد اختاروه خصيصاً لأمانته الشديدة ليطير بها إلى لندن فى مساء ذلك اليوم، ليسلمها بيده إلى إحدى الجهات المختصة العليا هناك.

وعبثا حاول الضابط البريطانى المسكين أن يجد الحقيبة فى أى مكان بالغرفة.

ولما أكدت زوجته «براجا» أنها لا تعلم أى شئ عن الحقيقة ، أسقط فى يده، وانكفأ على صدرها يبكى ويندب حظه فى فيض من الدموع قائلاً:

ـ براجا .. أيتها الحبيبة .. أن ضياع تلك الحقيبة معناه إعدامي رميا بالرصاص!

وارتاعت «براجا» كما لو كانت لا تتوقع لزوجها هذا المصير المفجع.

وأردف روبرت قائلاً:

ـ ولكننى سأجنبك هذا العار، وسأقتل نفسى بيدى

وشهقت «براجا» الملتاعة وضمت روبرت إلى صدرها فى تشبث واصرار وهى تقول:

- لا .. لن تفعل ذلك .. بل أنا الذى سأقتل نفسى بين يديك وأكفر عن ذنبى الذى لا يغتفر..

إشارات المورس

صعق الضابط البريطانى ولم ينبس ببنت شفة، بينما انطلقت تقول:

- سأعترف لك بكل شئ يا روبرت .. ولكنى أقسم لك بأغلظ الأيمان، بأننى أحببتك منذ عرفتك حبا خالصا مجردا عن أى غاية من الغايات!

ولم يفطن روبرت أول الأمر لما تعنيه، فوقف يحدق فيها كالمذهول.

ثم ما لبث أن بدت له الحقيقة المرة البشعة جلية واضحة حين بدأت تسرد اعترافاتها الخطيرة على مسامعه قائلة فى همس حزين:

- إننا جميعا - أنا ووالدى ووالدتى وأختاى - لا نحب بريطانيا

التى استعمرت بلادنا واستغلت خيراتنا لأحقاب طويلة..

لذلك فنحن جواسيس نعمل لصالح المحور ولقد طفنا ببلدان الشرق الأدنى، ثم بلدان الشرق الأوسط. وكنا نغرى الضباط البريطانيين بجمالنا لنحصل منهم على الأسرار العسكرية.

وأردفت :

ـ وعلى موائد الخمر والميسر كنا ننتزع منهم كل ما لم يخطر ببالك من دقائق الأسرار الحربية، ثم نبلغها إلى والدنا فيبلغها بدوره على الفور إلى سلطات المحور بواسطة آلة إرسال لاسلكية دقيقة فى حيازته.

وفى أثناء الغارات الجوية على القاهرة كان والدى يتصل بطائرات المحور المغيرة من نافذة غرفته بالفندق، ويرسل إليها إشارات ضوئية ذات دلالات بواسطة مرآة عاكسة على طريقة «مورس» .

وعندما أفتضح أمره كان يصعد إلى سطح الفندق فى فترة الغارة الجوية ويختبئ فى مكان أمين ليرسل اشارته الضوئية إلى الطائرات المغيرة من هناك.

الجاسوسة المنتحرة

وتضيف براجا:

ـ ولقد أخبرنى والدى مساء أمس بأنه سيرحل فجر اليوم مع والدتى وأختى، إلى صحراء الفيوم حيث تنتظرهم طائرة ألمانية خاصة تقلهم إلى بن غازى. وطلب منى فى إلحاح أن أنسى حكاية زواجنا هذه إلى الأبد وأرافقهم، فرفضت فى إصرار لشدة حبى لك وتعلقى بك.

وأردفت وهى تبكى:

ـ أما الحقيبة .. فلا أعلم عنها شيئاً، ولكنك أشرت إليها فى حديثك أمس مع والدى بعد أن لعبت الخمر برأسك، وما كان صعباً عليه أن يسرقها قبل رحيله وهو يجد حظه العجيب فى الحصول على مثل هذا الصيد الثمين وتقديمه هدية نادرة فاخرة إلى سلطات المحور فى بنغازى .!!

ثم ختمت براجا اعترافها بأن احتضنت زوجها الشاب، وقالت له ودموعها تفيض :

ـ أقسم لك بحبنا يا روبرت، أننى لم أشترك معهم فى أى نشاط

منذ تزوجتك ... وإنما لم أصارحك بحقيقتهم من قبل لأننى أقدس الرابطة التى تربطنى بهم، كما أحبك وأقدس الرابطة التى تجمعنى بك.

ودون أن يجيبها روبرت، تسلل إلى شرفة الغرفة، وأخرج مسدسه من جيبه ولكنه قبل أن يرفعه إلى رأسه كانت يد براجا قد امتدت إليه وانتزعته منه وصوبته إلى رأسها، ثم ضغطت على زناده فانطلقت منه الرصاصة واخترقت هدفها. فسقطت جثة هامدة!

وعندما أفاق روبرت من ذهوله العميق، وجد نفسه جالسا على أرض غرفته بجانب جثة براجا ومن حولهما حشد من الضباط البريطانيين.

ولما اقتاده الضباط إلى المصير الذى ينتظره ودع جثة براجا بقوله:

- براجا .. أننى أحبك بالرغم من كل شئ .. وسوف لا أغيب عنك طويلا.

وحوكم الضابط البريطانى « روبرت هاتواى» أمام مجلس عسكرى بريطانى بتهمة الخيانة العظمى، وحكم عليه بالإعدام

رميا بالرصاص، ونفذ الحكم بعد بضعة أيام فى ساحة قوشلاق قصر النيل بالقاهرة.

ذلك أن شكوكا جديدة كانت قد ظهرت، وأكدت اتصال روبرت نفسه بالألمان، وتردد أنه عاون صهره عن قصد فى الاستيلاء على الحقيبة التى كانت تحمل أوراقاً محرزة، كان من المستحيل فض أختامها وإعادتها كما كانت.

أما زوجته براجا، فلم تكن تعلم شيئاً بالمرة عن هذه الأمور عندما هدد روبرت بالانتحار (تمثيلاً)، من أجل دفعها إلى الانتحار لإبعاد شبهة التجسس عن نفسه. لكن سلطات التحقيق اكتشفت ما كان يريد ستره وإخفائه..

هكذا راحت الجاسوسة العاشقة ضحية خداع زوجها الذي أحبته حباً صادقاً..وما كانت تعلم أو تصدق ، أن والدها كان يخدعها أيضاً بتعاونه مع زوجها سرا، لتموت فى النهاية ضحية الغدر والمكيدة والخيانة .. وهى النهاية المرتقبة التى تنتظر أغلب الجواسيس ..!!

آنجى بوهل



فتاة ألمانية أحبت شاباً روسياً..
وبعد زواجهما وانتقالهما إلى موسكو
اكتشفت أنه عميل سوفييتى .. كان
لخبرته وجرأته يقوم باغتيال
المنشقين الروس فى الخارج بواسطة
السم .. فصدمتها الحقيقة .. لكنها
تمسكت به، واختفيا معاً ولم يظهر
لهما أثر حتى الآن ..!!

الحب العجيب

لماذا تحظر أجهزة الاستخبارات العالمية على رجالها عدم الانخراط فى أية علاقات نسائية، عاطفية أو جنسية، سواء أكان ذلك مع عميلات أجنبيات أو غيرهن.. وتعتبر أن مثل هذه العلاقات تعد كارثة ما بعدها كارثة.. لذلك فهى تحذر منها بشدة، وتوقع عقوبات قاسية على مقترفيها تصل إلى حد الفصل والعقاب..!

ولكن ، لماذا..؟

هذا هو السؤال .

أما الإجابة فهى لأن هذا الشعور الرائع ـ الحب ـ عندما يسرى مسرى الدم فى العروق ... يسيطر على السلوك والمشاعر ويغمض العيون عمدا عن المساوئ، فلا يرى الحبيب ما يعيب حبيبه، أو ينفره من سلوكه وتصرفه.

بل إن الحب ـ ذلك الشعور اللذيذ الدافق بنبضات العشق والهيام ـ غالبا ما يكون سببا أساسيا فى تقبل أخطاء الحبيب وهضم مساوئه.

ولأن الجاسوس بشر .. يتألم ضميره أحياناً وقد يصحو لبعض الوقت ثم يغيب، فهو أيضاً يكره بقسوة تعادل درجة الجنون فى العشق .

ولكن ... لا يحدث هذا كثيراً، فهى حالات استثنائية ونادرة. ولأنها كذلك فهى مثار تساؤلات عديدة ودراسات نفسية واجتماعية مطولة ومعقدة.

فأجهزة المخابرات عندما تريد ان « تصنع » جاسوساً، تنزع خلايا الحب من قلبه وتزرع مكانها الغلظة والقسوة والجفاف . ولأن نداء الطبيعة أقوى، فبعض الجواسيس تنمو لديهم خلايا الحب وتتشكل مرة أخرى.

وحينما ينضج هذا الإحساس المنزوع قسرا معلناً عن نفسه، يكون الجاسوس تحت تأثيره أضعف ما يكون ، فيعلن سره لحبيبته بصراحة، ويعترف لها بكل شئ .

وعندئذ .. فالحبيبة التى تصدم إما أن تفتك بها الصدمة فتهجر حبيبها أو تظل إلى جانبه، أو قد تساعده فى تجسسه. وربما تسلم رقبته بنفسها إلى حبل المشنقة.

إنه حب الجواسيس والخونة .. نوع عجيب من الحب المدمر..!!

يكـره الكمـثرى

وهناك فى عالم الجاسوسية قصة مشهورة لجاسوس سـوفييتى قاتل.. أحب فتاة أجنبية لدرجة العشق.. وهرب معـها إلى حيـث لا يدرى مكانهما أحد.

ومنذ أعلن عن هذه الحادثة حتى شـددت أجـهزة الاسـتخبارات على عملائـها ، وحظـرت عليـهم إقامـة أيـة علاقـات نسائية فـى الخارج أثنـاء قيامـهم بمـهام سـرية خوفـاً مـن حـدوث مـا لا يحمـد عقباه.. فينشـقون أو يـهربون إلى جـهات أجنبيـة ، كمـا حـدث مـع العميل الروسى «بوجداين ستاشنسكى» الذى اشـتهر بأنـه «نـافخ السم» الذى أذابه الحب.

لم يكن (بوجداين ستاشنسكى) يعتقد أنه قد يحب امرأة يومـا مـا. ذلـك أنـه اشـتهر بـالعنف والقسـوة، وان قلبـه (نزعـت منـه الرحمة).

فمنذ تخرج من أكاديمية الجواسيس فى موسكو وهو لا يعـرف سوى القتل وسفك دماء الضحايا بمنتهى الوحشية، ومـا ذاق طعـم الحب فى حياته، ولكنه استعذب لذة النجـاح فـى تخصصـه وأجـاد تـنفيذ المهام التـى أوكلت إليه، فأسبغ عليه رؤسائه مـن رضـاهم مـا

أشعره بأهميته كجاسوس ورجل مخابرات محترف، عرف عنه الإخلاص والدقة إلى درجة الإعجاز والتحدى، حيث يقوم بمفرده بعمل فريق كامل من أشرس الرجال الأكفاء.

كل هذه الصفات خلقت منه بطلاً أسطورياً يضع الخطط بنفسه ويقوم بتنفيذها بحرفية عالية حيرت أعتى ضباط المخابرات السوفييتية، الذين شعر بعضهم بالغيرة تجاه نجاحه الساحق فى كل عملية دون أن يخطئ ولو لمرة واحدة، إذ يعود إلى موسكو بعد كل عملية ليصعد درجة جديدة من درجات التميز والنجاح، وليلتحق بدورة تدريبية مكثفة تزيده علماً بأحدث أسرار المخابرات والجاسوسية.

وأيضاً.. ليستعد للعملية التالية دون أن ينبض قلبه نبضة شفقة واحدة تجاه ضحاياه، أو تهتز مشاعره بالحب ناحية أية فتاة ، حتى ولو كانت فائقة الحسن والأنوثة ، بل لم يحاول أن يمارس رجولته مع إحداهن على سبيل العبث.

كان بوجداين إبناً لأسرة فقيرة فى سان بطرسبرج لا تمتلك قوت غدها، وكثيرا ما نام والمغص ينهش جسده لشدة الجوع، وقيل أنه قضى سنوات طفولته وصباه يحلم بامتلاك ثمرة كمثرى يأكلها وحده دون قسمتها على أفراد أسرته.

وتمر سنوات الدراسة وحلم ثمرة الكمثرى يكبر لديه. الثمار تنضج كل عام وتتعاقب الأعوام وهو لازال يحلم ويتفوق فى دراسته. وكلما شهدوا له بالتفوق كلما أحس باقترابه من الحلم الكبير.

وعندما تم تجنيده للعمل فى الاستخبارات السوفييتية أظهر تفوقاً وكفاءة بالغين فى الرماية، والانقضاض، والجرى، وسرعة البديهة، واطلاق النار على هدف خلفى دون النظر إليه. وساعده قوامه المشوق وجسمه الرياضى على تحمل تمرينات اللياقة البدنية الصعبة.

فأحبه الجميع لاجتهاده ونال ثقتهم. وبعد عدة دورات تدريبية شاقة واختبارات ذكاء ومواهب، أرسل رأساً إلى مدرسة «ماركس إنجلز» والتى تعتبر مدرسة الجواسيس الابتدائية. فتألق نجمه سريعاً، ثم انتقل إلى مدرسة «لينين» حيث يؤهل الجاسوس بدنياً وعلمياً على أعلى المستويات ليتحمل كل الظروف التى قد تواجهه.

ولمدة ثلاثون شهرا تعلم كيفية نسف المنشآت، وفتح الأبواب والخزائن والأقفال الأتوماتيكية، وإبطال مفعول المتفجرات، وكل طرق وأساليب الاغتيالات. وكذا تحضير السموم، التنصت،

والتصوير، والتشفير، والمراقبة، والهروب بوسائل تمويهية معقدة، واستعمال اللاسلكى، والسلاح.

قائمة طويلة لا بد أن يتعلمها الجاسوس المحترف ورجل المخابرات الذكي، بالإضافة إلى حوالي ستة لغات حية، وتدريبات على تحمل الاعتقال وعذاب الاستجواب، قد تصل إلى حد التعذيب الفعلي وبمنتهى القسوة في سجون خاصة مجهزة بكل وسائل التنكيل .

نجح بوجداين ستاشنكى بتفوق كعادته، وتخرج من أكاديمية الجواسيس جاسوساً محترفاً ورجل مخابرات من الدرجة الأولى. ولما أجاد تنفيذ أولى المهام التى أسندت إليه بكفاءة ، أغدقت عليه المخابرات السوفييتية وامتلأت جيوبه بآلاف الروبلات وتغير وضعه العائلى والمادى كثيرا . وبرغم ذلك، ظل يكره الكمثرى ، وكلما مر على بائعو الفاكهة أسرع الخطى وأصر على أن يحرم معدته من أكلها إلى الأبد .

عقـله يرفـض

استدعاه رئيسه المباشر ذات صباح وقال له :

ـ هذه مهمة جديدة ـ خطيرة جدا ـ وعلى أعلى درجات السرية، ستكون امتحانا لقدراتنا جميعاً أيها الرفيق بوجدايـن. إن القيـادة العليا فى مجلس السوفييت الأعلى تنتظر النتيجة.

أجاب:

ـ سأكون عند حسن الظن، ولن أخفق فى مهمتى فى أحلك الظروف.

قال رئيسه:

ـ فر من روسيا البروفيسور ليف ريبيت والأديب الشهير ستيفان أنديرا. وهما الآن يقيمان فى ألمانيا الغربية وكتبوا فى صحفها عن الحياة داخل الاتحاد السوفييتى منتقدين الأوضاع هنا بشدة ، ونعتقد أن ما نشر يسئ إلى روسيا وقد أملى عليهما .. نريد إسكاتهما إلى الأبد .

سأل بوجداين:

ـ وهل هناك خوف منـهما سـيدى الرئيـس الرفيـق مادامـا فـى بلد بعيد؟

أجاب:

ـ إن موافقتهما على الهجوم على الاتحاد السوفييتى كان بسـبب كرم الضيافة الألمانى. وهذا سيشجع غيرهما على الهرب.

قال بوجدابن فى تصميم:

ـ نعم .. نعم .. سأسكتهما إلى الأبد.

أردف رئيسه:

ـ لقد كلفناك بهذه المهمة لكفاءتك ومهاراتك العالية.

رد بوجداين:

ـ أنا أحب وطنى سيدى الرئيـس الرفيـق. امنحونـى فقـط كـل سلطات قرار التنفيذ على مسئوليتى و ..

قاطعه:

ـ لك كل السلطات التى تريدهـا يـا بوجدايـن، ولكـن تذكـر فـى حالة القبض عليك أنك تعمل بمفردك ولا صلة لك بنـا. واحـرص

على أن تتخلص من السم بعد التنفيذ بأسرع ما يمكنك حتى لا يكون دليلاً عليك.

أجاب بثقة:

- هذه أمور أحفظها جيدا وأرجو أن تبلغ القيادة العليا بأننى خادم مطيع للحزب الشيوعى ولوطنى.

الغرفة رقم ٤١١

كان بوجداين ستاشنسكى - ٣٤ عاماً - يصعد سريعاً سلم النجاح ملئ بالثقة فى قدراته وخبراته، وحمل إلى مكتبه ملفاً ضخماً قرأ صفحاته جيدا ثم جهز حقيبة سفره وغادر موسكو إلى برلين الغربية، يحمل جوتز سفر ألمانى باسم «يوشى ليمان»، وعمل مترجماً فى أحد المكاتب التجارية.

ولفترة طويلة ظل يبحث فى صمت عن ضحاياه ويتلقط الأخبار من الصحف والناس.

وعندما تأكد من وجود ليف ربييت فى ميونيخ انتقل إلى هناك فورا وأخذ يبحث عنه إلى أن وجده. فقام برصد منزله جيدا وتحركاته وذهابه إلى الصحيفة التى يصدرها المهاجرون

الأوكرانيون . ولضمان المراقبة الآمنة استأجر غرفة فى فندق «جرينفالد» المواجه لمبنى الصحفية.

وعبثاً حاولت حسناء مثيرة تدعى أولجا أن تقيم علاقة معه إلا أنه لم يضعف أمامها رغم مطاردتها له فى ردهات الفندق والنادى الليلى، وحتى غرفته فى الطابق الرابع رقم ٤١١ ، إذ كان عقله يرفض أية علاقات نسائية خاصة أو لحظات متعة تشغله عن عمله.!!

العاشق القاتل

فتح بوجداين حقيبته وأخرج ما بداخلها من ملابس ومناشف، وأمسك بعلبة ماكينة الحلاقة الكهربائية . وفى هدوء أخرج من أحد التجاويف أنبوب معدنى قطره حوالى ١,٣ سنتيمترا وطوله ١٥ سنتيمترا، ومؤلف من ثلاث قطع تجمع إلى بعضها البعض.

كان هذا الأنبوب سلاح فتاك يقتل فى الحال. ففى أسفله يوجد زناد الإطلاق الذى يدفع بقوة بقطعة معدنية فى الجزء الأوسط تخرج إلى الجزء الأخير، حيث توجد مادة كالماء تخرج من الفوهة على شكل بخار. وحين يصاب الضحية بهذا البخار على بعد نصف المتر يموت فورا.

هذه المادة سم زعاف لا لون له اسمه « أسيد بروسيك[1] » أحد أنواع سم « السيانيد » أقوى أنواع السموم التى عرفها الإنسان حتى اليوم .

وهذا السم له ترياق مضاد يستخدمه الجواسيس حتى لا يؤثر على المخ على المدى الغريب أو البعيد، وهو نيو سلفات الصوديوم على شكل بودرة بيضاء.

أعاد بوجداين ترتيب سلاحه والاطمئنان عليه، وفى ٩ ديسمبر ١٩٥٧ ولمدة ثلاثة أيام متعاقبة داوم على تعاطى الترياق. وصبيحة ١٢ ديسمبر خرج ينتظر ليف ريببيت إلى أن خرج من منزله ، فظل يتبعه حتى مكتبة « كالز بلانس » التى اعتاد المنشق الروسى زيارتها.

وبعدما دلف ريببيت من الباب الرئيسى كان بوجداين فى أثره، وعلى السلم الداخلى أخرج سلاحه الفتاك فى سرعة ووجهه نحو وجه ضحيته، وفى الحال سقط الجسد دون صرخة واحدة أو إيماءة ترشد إلى القاتل.

---

(١) قيل أن المشير عامر استخدم هذا السم ليتخلص من حياته، لا لأن الجيش المصرى ركع أمام اليهود وضاعت كل سيناء وكل كرامة العرب ، وإنما لأن كرامته هو (أى المشير) قد أهينت عندما حدد الرئيس عبد الناصر إقامته فى فيلا المريوطية.

خرج بوجداين فى هدوء تام وتوجه إلى حجرته بالفندق ليتناول بقية الترياق، ويسارع بمغادرة ميونيخ إلى فرانكفورت بالقطار ثم بالطائرة إلى برلين .

نافخ السم

كانت عملية الاغتيال ناجحة جدا ومدهشة للمخابرات السوفييتية وللجاسوس المنزوع القلب والمشاعر. وأقيم حفل تكريم لبوجداين بسبب نجاح العملية.

وأمام جمع من الزملاء ورؤساء الأقسام قام بشرح تفاصيل خطوات العملية، وكيف قام بمراقبة الهدف طويلاً حتى عرف مواعيد خروجه على وجه التقريب وأماكن زيارته، ثم اختار الوقت المناسب لتنفيذ العملية المحكمة دون أن يلحظه أحد أو تكتشف السلطات هناك أن عملية اغتيال دقيقة وراءها قاتل محترف وجهاز مخابرات قوى، بل إن الطب الشرعى اعتقد أن ريبيت مات بالسكتة القلبية.

وبعد مرور الذكرى السنوية الأولى لوفاة ريبيت ، استعد بوجداين لتنفيذ المهمة الثانية بذات الأسلوب.

هذه المرة لم يتعب كثيرا فى البحث عن ضحيته الذى يشغل

منصب رئيس رابطة المهاجرين الأوكرانيين فى ألمانيا. فبدأ فى رصد تحركاته ومواعيد الخروج والدخول، وعمل لذلك جدولاً مرتباً بشكل دقيق.

فى تلك الآونة تصادف أن تعرف بوجداين على فتاة ألمانية شرقية تدعى آنجى بوهل عمرها ٢٣ عاماً، وتصور أن بإمكانه نسيانها لكن هيهات.

فبعد اللقاء الأول بينهما تسللت آنجى الحسناء الرقيقة إلى أعماقه وتمكنت منه، ولم يكن يملك ترياقاً يقيه سهام حبها التى اخترقت صميم قلبه، فنزف مشاعره بين يدى محبوبته عشقاً وولهاً وضعفاً، ولكن آنجى كانت تشعر أنه شاب رومانسى متقلب العواطف والمشاعر.

ذلك أن المخابرات السوفييتية دربته جيدا على ألا يحب أو يقع فى الحب مهما كانت الأسباب. وأنذرته من هذا الشعور الجميل الذى قد تكون فيه نهايته كجاسوس أو ككائن حى.

لكن ها هو الحب يتدفق إلى جوانحه كالشلال ..فيملأ كيانه ويكاد يطغى على مهمته الأصلية. وتسللت آنجى فجأة إلى قلبه ولم يعد بمستطاعه التغلب على دفقة العواطف التى أسبغت عليه

إحساساً لذيذا ورائعاً بأنه إنسان حى يرى الحياة عبر منظور جديد.

وفى صراعه العنيف بين واجبه وعواطفه ، تغلب عليه الأخير ولو مؤقتاً .

وفى ١٢ ديسمبر ١٩٥٩ ـ الذكرى الثانية لوفاة ليف ريببيت ـ بدأ بوجداين فى الاستعداد لتنفيذ المهمة الجديدة بتناول الترياق (المصل) المضاد للسم لمدة ثلاثة أيام متتالية. وأحكم خطته كى لا يترك وراءه دليل إدانة يشير إليه فتتورط المخابرات السوفيتية، وبالتالى يضع بلده فى موقف سيئ أمام الرأى العام العالمى.

ذهب فى العاشرة صباح يوم ١٥ ديسمبر إلى الجراج الموجودأسفل شقة الأديب المنشق ستيفان أنديرا، وقبع فى أحد الأركان ينتظر ضحيته الذى خرج بسيارته إلى السوق كعادته المتبعة التى لم يغيرها.

وعندما عاد فى الساعة العاشرة والنصف، لم يكن يخطر بباله أن هذه هى المرة الأخيرة التى يدخل فيها إلى جراج منزله بسيارته الأوبل.

فعندما رآه بوجداين يغادر سيارته حاملاً سلة الطماطم وتحت إبطه بعض الصحف والجرائد، اقترب منه فى هدوء الأفعى

وسرعة انقضاضها. وفى لحظة خاطفة أطلق عليه قذيفة السم فتهاوى جسده فوق حبات الطماطم لا يقو على الحراك أو الصراخ.

هكذا مات أنديرا فى الحال، حتى قبل أن يخرج القاتل المحترف من الجراج رابط الجأش كعادته فلم يشعر به مخلوق ، ليتجه فى الحال إلى فرانكفورت بالقطار ، ثم بالطائرة إلى برلين كالمرة السابقة.

وبعد ساعتين من وفاة أنديرا اكتشفت جثته، وكانت هناك شكوك قوية فى سبب الوفاة التى جاءت بعد عامين من وفاة رفيقه ريببيت.

ولذلك ، تعرض جثمانه لفحوص طبية دقيقة أكدت أنه مات مقتولاً بسم خاص لا يترك أى أثر.

المشهد الأخير

وفى برلين التقى الحبيبان يعتريهما شوق جارف بعد فراق قارب الأسبوع.

وفى إحدى دور السينما جلسا يشاهدان فيلماً سوفييتياً يحكى قصة حب بين شابين أجنبيين وصراعهما من أجل أن ينتصر حبهما فى النهاية بالزواج.

وفجأة قبل أن يبدأ الفيلم ملأ وجه أنديرا الشاشة بعد وفاته ، وكانت هناك هالة من الرعب والاختناق تحيط بقسماته. فارتجف جسد بوجداين ستاشنسكى ونزف منه العرق واتسعت حدقتاه رعباً، وتأوه وهو يدس برأسه بين يديه مصاباً بدوار عنيف ثم أجهش فى البكاء.

عند ذلك سحبته آنجى الحبيبة الحنونة إلى خارج السينما، وعندما سألته عن سبب كل هذا أجابها بعد لحظات صمت بأنه لم يستطع تحمل رؤية وجه القتيل. وأن مشهد صراخ زوجته وأطفاله هز كيانه كله.

وهكذا خرجت من داخل بوجداين دفقة أخرى من المشاعر الإنسانية التى أشعرته بمدى وحشيته ونذالته.

وبرغم تحذيرات رؤسائه فى المخابرات لم يبتعد عن آنجى أو يتوقف عن مقابلتها، بل ألبسها خاتم الخطوبة وفى إحدى

الكنائس تزوجها فى حفل بسيط بلا ضجة أو زحام.

لقد كان القاتل المحترف المنزوع المشاعر يحب، ويشعر بمدى حاجته إلى حبيبته كل الوقت، حتى أنه لم يعد يستطع تحمل الابتعاد عنها ولو لعدة أيام إلى موسكو، ومن أجل ذلك عجل بإتمام مراسم الزفاف ليضمن التصاقه بها إلى الأبد.

وفى ليلة زواجهما الأولى أوشك أن يخبرها بحقيقة كونه جاسوساً وقاتلاً محترفاً، إلا أنها جذبته بشدة إلى صدرها، فبدا كالفأر المذعور يرتعد فى حضنها ويقول لها:

- احتوينى يا حبيبتى بقوة .. فأنا أحتاج إلى حضنك الدافئ .. احتوينى فأنا خائف .. ولا تتركيينى بعيدا عنك أبدا .

وانتحب فى صمت فسرت بجسده رجفة أحستت بها، وأيقنت بأنه يبكى فضمته أكثر قائلة فى صوت متحشرج مكتوم وتكاد تنفجر بالبكاء:

- ماذا بك أيها الحبيب؟ ألم ننتظر معًا هذا اليوم الرائع باشتياق ولهفة...؟

وحاولت أن تبعد وجهها عنه قليلاً لتلثم وجهه لكنه جذبها إليه بقوة وهو يقول:

- لا تدعى الهواء يمر بيننا يا أعز الناس عندى .. زيدينى عناقاً وحناناً .. أرجوك .!!

فضمته بقوة وهى تقول:

ـ بوج (فى تدلل) لا تخف .. لن أبتعد عنك منذ اليوم.

همس:

ـ آنجى ..حبيبك الذى يرتجف بين يديك الآن كان دائماً قوياً لا يعرف الخوف. ولست أدرى يا حبيبتى ماذا جرى لى.

سألته:

ـ منذ يوم السينما ومشهد الرجل السوفييتى القتيل وانت دائماً تكابد الألم والمعاناة، وتزداد توترا كلما جاءت سيرته، أليس عندك تعليل لذلك يا بوج؟

أجاب فى وهن:

ـ سأذهب إلى طبيب مختص حالما أصل إلى موسكو، فربما يكون هناك ما لا أعرفه.

لم يكن بوجداين يصدق ما آل إليه حاله بعدما أحب آنجى وذاب فيها عشقاً إلى أن تزوجها.

لقد تحول فجأة من رجل مخابرات جرئ ـ لا قلب له ولا عواطف ـ إلى إنسان ودود مفعم بالمشاعر الرومانسية، ويحنو على زوجته ويداعبها ويمشط لها شعرها، بل وتهفو نفسه إلى البيت الأسرى الدفئ والأطفال.

هل هذا هو بوجداين ستاشنسكى خبير الاغتيال الأول فى

المخابرات السوفييتية، والذى قال مرارا متباهيا بأنه لم يتذكر أبدا وجوه ضحاياه لحظة القتل، والرعب الذى يخيم عليها ..

لقد كان حريصا على ألا يرى ذلك ، وكان ينسى كل شئ بمجرد الانتهاء من تنفيذ المهمة وينام قرير العين هادئ البال، ثم سرعان ما يسافر إلى مكان آخر لمهمة أخرى.

إنه الآن أضعف من الضعف نفسه.. إذ تطارده صور ضحاياه وتشتت عقله فتعصف بهدأته وباستقراره.

وعندما استدعته المخابرات السوفييتية إلى موسكو، انتابه خوف شديد من الغدر به هناك. فلقد سعوا وبقوة لإبعاده عن آنجى التى اندفع فى حبه لها إلى درجة الهوس، ولم يتصور أن مخابرات بلاده مثلما نزعت العواطف من خلايا الجواسيس قادرة على نزع الحياة نهائيا من أجسادهم إن هم خالفوا الأوامر ، أو حادوا عن الطريق.

كذلك انتابه الخوف على حياته هو أيضا.. ففى عالم المخابرات يجب إسكات هؤلاء الذين عرفوا الكثير من الاسرار خشية انشقاقهم، فتكون المعلومات التى لديهم ثمنا لقبولهم كلاجئين سياسيين فى دول الغرب.

إنه قانون عالم المخابرات المخيف.. قانون تصفية كل من يملك أسرارا أكثر من اللازم.

المصير المجهول

خالف بوجداين اللوائح المعمول بها والمحاذير عندما تزوج من ألمانية شرقية غصباً عن الجميع، ولم ينصت لأوامرهم الصريحة بعكس ذلك. والآن يستدعونه من جديد إلى موسكو بأسلوب رقيق ناعم كأنهم يتربصون به حتى يعود فيؤدبونه. والتأديب بأسلوب المخابرات ليس فيه هزل.

وتساءل العميل العاشق بينه وبين نفسه :

ـ هل سيعود مرة أخرى إلى زوجته أم سينزع منها إلى الأبد؟

لم يكن يريد تشويه صورته لديها، ولذا أصر على إخفاء شخصيته الحقيقية عنها. وقضى معها ليلة وداع مؤثرة قبل أن يحمل حقيبته عائدا إلى موسكو.

كان فى حالة انهيار تام ، وبدلاً من أن يمارس معها ليلتئذ طقوس الوداع، أخذ يتجول فى أنحاء المنزل الصغير ضارباً الجدران بيديه ورأسه باكيا فى أنين خافت .. ويتأوه تأوه الخائف الذى انفطر قلبه هلعاً .. مخفياً وجهه بيديه أحيانا كأنه يبعد أشباح وجوه تطارده.

أشفقت عليه آنجى التى اعتقدت أن ذلك ما هو إلا لشدة تعلقه بها وعدم رغبته فى الابتعاد عنها . وأمام لوعته وحزنه قررت السفر معه إلى موسكو، برغم معارضته الشديدة لهذا القرار المفاجئ.

وفى موسكو عنفه رئيسه المباشر على تجاهله لأوامر رؤسائه، وبعد أيام انتظار مريرة وطويلة كالأمد، استدعاه رئيس جهاز المخابرات السوفييتية إلى مكتبه ... فمشى إليه لا يقو على حمل ساقيه ، تماماً كالمحكوم عليه بالإعدام لحظة اقتياده إلى حجرة الموت.

وفى طرقات المبنى الطويلة العديدة ، كلما مر بوجداين على ووجوه يعرفها، كان يرآها مكفهرة ، مشفقة عليه من هول المصير الذى ينتظره .

وفى مكتب رئيس الجهاز كان المشهد عجيباً محيرا .. فقد كان هناك جمعاً من قادة الجهاز ورؤساء الأقسام ينتظرونه، وبعد وابل من السباب والتلويح بالعقاب، أمطروه بعدة أسئلة حول رفضه الامتثال لأوامرهم بعدم الزواج من آنجى.

أجابهم بوجداين فى جملة واحدة ألجمتهم جميعاً وأنهت مأساة استجوابه.

قال:

ـ القتل أحب إلىّ من هجرها. اقتلونى فلن أنتحر ولكن لا تطلبوا منى تطليقها .. إن ابنى يسكن أحشاءها وأريد أن أراه.

ولأن تاريخه لدى الجهاز ملئ بالأعمال « الوطنية العظيمة» ، فقد سامحوه على فعلته، ولكن صدرت إليه الأوامر الصارمة بعدم السفر إلى برلين مرة أخرى مع زوجته، والاستعداد لدورة تدريبية مكثفة يتعلم فيها اللغة الإنجليزية لإرساله خارج موسكو فى مهمة صعبة جديدة .

فى وفاة ابنهما

عاد بوجداين إلى منزله لا يشعر بالأمان الذى كان يحسه قبلاً. ووجد أحضان زوجته الدافئة بانتظاره فأفشى بسره إليها خوفاً من اغتياله بين لحظة وأخرى، ولم تتحمل المسكينة صدمة الحقيقة، فظلت تصرخ صراخ التائه الملهوف وتملكتها نوبات من الهستيريا.

وعندما طلبت منه أن تغادر موسكو إلى برلين، لم يستطع منعها .. لقد كانت فى حالة يرثى لها ولو مكثت فى موسكو هكذا فستموت من الحسرة لا محالة.

عاشت آنجي بوهل في ألمانيا تنعى حظها وتبكي حبها الذي غلفه الخداع .. ووضعت في تلك الفترة طفلهما «بيتر» الذي كان معتلاً منذ لحظة ولادته. ولم يستطع المسكين تحمل جرعات المر الزائدة في صدر أمه فمات في أغسطس ١٩٦١ تاركاً الدنيا وما عليها.

اتصلت آنجي بزوجها في موسكو، فسمحت له المخابرات السوفييتية ، بعد تحرٍ ، بالسفر لدفن ابنه والعودة سريعاً لإكمال الدورة التدريبية، وصدرت أوامر مشددة إلى فرع المخابرات السوفييتية في ألمانيا الشرقية بمراقبة بوجداين جيدا ، بحيث لا يسمح له بالتحرك بعيدا عن عينهم.

وفي برلين ذهب بوجداين إلى المستشفى مباشرة، وما إن رأته آنجي ينتحب متألما وقد غطت الدموع وجهه ، حتى انهارت بين يديه وأخبرته بأنها احتفظت بسره في صدرها وأنها لا تزال تحبه وتعشقه .

وفي عناقهما المؤثر المفعم بالأسى عرض عليها بوجداين فكرة الهرب معاً ليفوزا بحبهما وينجبان بيتر آخر، فوافقت في الحال، وبدءا في التخطيط لرحلة الفرار من المعسكر الشرقي بأكمله إلى المعسكر الغربي.

كان العميل السوفييتى قد امتلأ كراهية لبلده ولجهاز مخابراته ، خاصة بعدما حرم من رؤية زوجته أثناء حملها وتعبها قبل الولادة، وازداد غضباً أكثر عندما سحبت منه أوراقه وجواز سفره حتى لا يضطر للسفر إليها مرة أخرى.

لم ينس بوجداين هذا الأمر أبدا حتى وهو يتقبل العزاء عند قبر ابنه الذى لم يره، ومن حوله ثلاث سيارات تراقب تحركاته ، ووجوه يكاد يعرفها .

لأجل الحب

فى رحلة العودة من المقابر إلى المنزل كانت الحراسة عليه مشددة، فتسير خلفه ثلاث سيارات تعد عليه أنفاسه وخطواته، وتقف أمام المنزل حراسات أخرى لا تترك له فرصة للتفكير لا فى الدورة التدريبية والمهمة الجديدة، ولا فى أهله فى سان بطرسبرج، ولا حتى فى محترفى القتل فى المخابرات السوفييتية، الذين سيجدون فى أثره بمجرد إعلان هروبه، وإنما كان تفكيره منصباً فقط فى كيفية الهرب ومعه زوجته والفرار بعيدا فى مكان لا يعرفه أحد .

وبمجرد عودتهما من المقابر وتقبل عزاء الجيران، خرجا من الباب الخلفى للمنزل وانطلقا جرياً بأقصى سرعة فى الزراعات

الممتدة والأحراش، حتى وصلا بعد جهد جهيد إلى طريق فرعى، فركبا منه إلى منطقة «فالكنزى» وأسرعا بركوب القطار إلى ألمانيا الغربية.

المثير .. أنه لو لم يهربا من الحراسة المشددة عليهما فى ذلك اليوم ، ١٢ أغسطس ١٩٦١ ، لما تمكنا من الفرار من ألمانيا الشرقية بعد ذلك أبدًا حيث بدأ العمل فى بناء سور برلين[1] يوم ١٣ أغسطس ، أى فى اليوم الثانى لفرارهما .

بضغوط أمريكية ، سلم بوجداين نفسه إلى السلطات هناك، حيث تم استجوابه فى مبنى المخابرات فى بولاخ بالقرب من ميونخ. واعترف أمام المحكمة بتفاصيل عملياته ، وبأنه نادم على جرائمه التى اقترفها تحت الضغط عليه. وحكم عليه بالسجن ثمانى سنوات.

ولكن .. قبل انتهاء المدة المقررة بعدة سنوات أختفى بوجداين ستاشنسكى من السجن .. واختفت زوجته آنجى فجأة بعدما كانت تزوره بالسجن يومياً . وليست هناك إجابة عن سر اختفاء الجاسوس العاشق ..

---

(١) تم بناء حائط برلين فى عهد الرئيس الأمريكى هارى ترومان يوم ٢٤ يونيو ١٩٤٨(كما جاء فى كتاب أنيس الدغيدى: الحياة السرية لصدام حسين، ص ١٥٣، الصادر عن دار الكتاب العربى، دمشق – القاهرة. الطبعة الأولى ٢٠٠٤) ويضيف الدغيدى أن الحائط عمر ٤١ عاماً حتى هدم فى ٩ نوفمبر ١٩٨٩.

* هل سافر إلى أمريكا بتدبير من المخابرات المركزية الأمريكية؟

* هل نقل إلى دولة أخرى وأعطى اسماً جديداً وهوية جديدة هو وزوجته ؟

* هل اغتالته المخابرات السوفييتية؟

لا أحد يستطيع أن يجيب على هذه الأسئلة.

إنه عالم المخابرات والجاسوسية .. عالم لا تحكمه العواطف والعلاقات والأعراف ..

عالم مستقل بذاته له قوانينه التى لا تعرف الرحمة أو المشاعر..

عالم مسعور لا يهب الصفاء ..!!!!

لكن المؤكد أن الجاسوس العاشق اشترى حياته الجديدة مع زوجة يحبها، مضحياً بكل شئ فى سبيل رجفة الحب التى دمدمت بجذور أعماقه، ليؤكد لنا أن الحب يصنع المعجزات بحق.. فتستغل أجهزة الاستخبارات هذه القصة فى فلسفة عملها، وتسقطها على سائر رجالها الذين يتم إرسالهم لمهمات محددة فى الخارج[1]

---

(١) القصة نشرت بجريدة «اللواء العربى» القاهرية الأسبوعية، عدد ١٩ نوفمبر ١٩٩٧، ضمن سلسلة حلقاتنا: (المخابرات والجاسوسية فى القرن العشرين) الحلقة رقم (١٧).

كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .



تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com